الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزاة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي
كلية الآداب واللغات
مخبر نظرية اللغة الوظيفية

"مؤتمر دولي بعنوان":

الثورة الجزائرية في ضوء الخطاب الشعري العربي

تحت شعار: من أجل إحياء الذاكرة الثورية الجزائرية

(وطنية واعتزاز)

يوم 31 /10/ 2024

الاسم:جمـــال المشرف: أ/ د هواوي نهيان
اللقب:جيـــاب
الدرجة العلمية: طالب دكتوراه
التخصص: أدب عربي
الجامعة : جامعة الشهيد حمّه لخضر- الوادي -
مخبرالانتماء: مخبرالتكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية

المحورالثالث: حضور المرأة الثّورية الجزائرية من خلال الخطاب الشعري العربي

عنوان المداخلة: المرأة المجاهدة في الخطاب الشعري العربي الحديث جميلة بوحيرد أنموذجا

ملخص:

تعرضت الجزائر مع بداية القرن التاسع عشر لحملة عسكرية فرنسية، حيث زحفت جحافل الجيش الفرنسي على شواطئ الجزائر الحرة، واقتحمت أرضها وقتلت أهلها ودنست مقدساتها، فما كان من الشعب الجزائري الأبي المخلص إلامقاومة هذا الغازي المحتل، فأعلنها ذات يوم مجموعة من الشباب ثورة عارمة تَوَحَدَ بموجبها أفراد المجتمع بمختلف طبقاته وجيهاته، فكان رد المحتل شرساً إلا أن عزيمة الجزائرين وتلاحمهم في الدفاع عن هذا الوطن أفشل كل مخططات العدو وحال دون تحقيق مآربه، فالثورة الجزائرية المجيدة تعد من أهم ثورات العصر الحديث في إفريقيا والعالم العربي، حيث انتصر فيها شعب أعزل على أعتى الجيوش أناذاك، فكانت بمثابة مثال تقتدي به الشعوب المظطهدة عبر مختلف أنحاء المعمورة في سبيل نيل حريتها وانعتاقها من المستعمر.

تناول الشعر العربي الحديث مواقف وبطولات الشعب الجزائري وكفاحه ضد المستدمر الفرنسي والتضحيات الجِسام التي قدمها مقابل تحرير الوطن، امتزجت فيه النزعة القومية العربية بالنزعة الإنسانية، فكانت الثورة الجزائرية الخالدة مادة إبداعية دسمة خلد من خلالها الكثير من الشعراء الجزائرين والعرب ومن غيرهم من أصدقاء الثورة بطولات وتضحيات الشعب الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الثورة التحريرية/ الشعر العربي الحديث/ جميلة بوحيرد/ نزار قباني

Abstract:

At the beginning of the 19th century, Algeria was subjected to a French military campaign, as the French army invaded the free shores of Algeria, stormed its land, killed its people, and desecrated its sacred sites. In response, the steadfast and loyal Algerian people resisted this occupying invader. A group of young men ignited a sweeping revolution, uniting the society across all classes and regions. Despite the fierce retaliation of the occupier, the determination and solidarity of the Algerians in defending their homeland thwarted all the enemy's plans. The glorious Algerian Revolution is considered one of the most significant revolutions of the modern era in Africa and the Arab world, where an unarmed population triumphed over one of the mightiest armies of the time. It became an inspirational model for oppressed peoples around the world in their quest for freedom and liberation from colonization.

Modern Arabic poetry addressed the struggles and heroism of the Algerian people in their fight against the French colonizer and the immense sacrifices made for the liberation of the homeland. It combined Arab nationalism with a humanistic approach. The everlasting Algerian Revolution served as a rich source of inspiration for many Algerian and Arab poets, as well as friends of the revolution, to immortalize the sacrifices and victories of the Algerian people. Among these poets was the renowned Arab poet NizarQabbani, who masterfully described the intricate details of the life of the heroine Jamila Bouhired in prison.

Keywords:

Algerian Revolution, Modern Arabic Poetry, Jamila Bouhired, NizarQabbani.

أولا/ مقدمـــــــــة:

مِمّا لاشك أن الثورة الجزائرية من أعظم الثورات التي شهدها العالم في القرن العشرين، مِمَا جعلها نموذجا تُحتذي به كل حركات التحررفي العالم، وصل صداها إلى كل أنحاء المعمورة والوطن العربي في مشارقه ومغاربه بشكل خاص، حيث تبارت الأقلام الجزائرية والعربية وحتى العالمية في استلهام ملحمة الجزائر وتصويرها والتعبير عن مشاعرهم الجياشة اتجاهها، وفي هذا المجال نجد أعظم رمز احتفت به هذه الأقلام هو« جميلة بوحيرد»، وهذا مايؤكد على مكانة الثورة التحريرية ودور المرأة الجزائرية أثناء الثورة، ودليل قاطع على أن الثورة لم تكن حِكراً على الرجال فقط بل كانت المرأة الجزائرية تقف إلى جانب الرجل وتآزره في كفاحه ونضاله ضد المستدمر الفرنسي الغاشم، الذي تحول اسمها فيما بعد إلى موضوع دسم يلهم المبدعين، ويذكي قرائحهم وملكاتهم، إن غزارة النصوص الشعرية المتفاعلة مع الثورة الجزائرية عامة وجميلة بوحيرد خاصة التي كُتِبَتْ فيها ما قارب مئة وثلاثين قصيدة من مختلف الدول العربية، تناولت مسيرة كفاح المرأة المجاهدة البطلة"جميلة" فبين أيدينا أحد النماذج الشعرية العربية التي تبرز صدى ثورة نوفمبر1954 في الشعر العربي الحديث، الذي اتستلهم حوادثها بطولاتها وقيمها شاعرنا الفذ من عمق الثورة التحريرية إنه الشاعر السوري الكبير"نزار قباني" الذي عايش الثورة التحريرية المجيدة بكل

جوارحه، استهل قصيدته بالتعريف بالبطلة ونوع السجن ورقم زنزانتها وعمرها، ثم قدم لنا وصفاً دقيقاً للجسد للبطلة، فوصف ملامح عينيها التي تتأجج غضباً وشعرها الأسود كيف لاوهو الشاعر الملقب بشاعر المرأة كل التفاصيل هذه من خلال قصيدته الشهيرة "جميلة بوحيرد"

من هذا المنطلق يمكن لنا طرح هذا التساؤل: كيف ساهم الشعر العربي الحديث بالتعريف بالثورة الجزائرية

ثانياً/ نبذة عن حياة نزار قباني:

ولد الشاعر العربي السوري نزار قباني عام 1923من أسرة دمشقية عريقة إذ يعتبر جده أبوخليل القباني من رواد المسرح العربي أوائل القرن الماضي، تخرج من الجامعة السورية كلية الحقوق عام، 1945انخرط بعدها في السلك الدبلوماسي متنقلا بين عدد من عواصم العالم حتى استقالته عام، 1966 حيث تفرغ لكتابة الشعر والإبداع، وبعد حرب1967اتجه الكاتبِ وجهة أخرى في تجربته الشعرية إذ تحول من شاعر المرأة إلى شاعر القضية العربية

وبذلك انتقل من عالم المرأة إلى عالم السياسة ومتاعبها العربية، توفي عام 1998، ودفن بدمشق إلى جانب إلى جانب شيخ الصوفية محي الدين بن عربي، صدر له أول ديوان شعر عام 1944 بعنوان " قالت لي السمراء " وللشاعر خمسة وثلاثون ديوان شعر تتقاسم موضوعاتها المرأة والسياسة من أهمها : "طفولة نهد " و" قالت لي السمراء"

ثالثاً/ مفـهوم الثــورة:

يتعدد مصطلح الثورة ويتباين وفق سياقاته وغايات استعماله، إلا أن من الناحية السياسية يعني« قيام شعب بحركة سياسية أوعسكرية أوهما معا، من أجل تغيير وضع راهن سيئ، وإبداله بوضع جديد أفضل منه "[1].

بمعنى ا ستحداث تغييرات شاملة في شتى المجالات ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا، وكذلك التصدي للأنظمة السياسية الفاسدة والقوى الإمبريالية الاستعمارية.

ومن هنا فإن قيام ثورة ما تعني رفض الواقع القائم والمطالبة بتغييره إلى الأحسن، فمصطلح الثورة كما يرى" يحي الشيخ صالح يحمل معنى الرفض لما هوسائد وتغيير جدري شامل هدفها، ولذلك فإن الثورة حسب رأيه «عدم الرضا لوضعَ ما والتعبير بالرفض والهيجان والقيام برد فعــل قــوي وعنيف».[2]

---

[1]. مرتاض عبد الملك: دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962 منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954 ، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية الجزائر، ص24.

بمعنى أن الثورة هي الأداة الوحيدة من خلالها يتحقق التغيير الجذري الشامل في شتى مجالات الحياة وقطاعاتها

تقول الكاتبة العراقية: "سلمى خضراء الجيوسي" « ولم يدخل إلى الشعر الحديث نغمة الفرح الواثق إلا ثورة الجزائر الباهرة، التي شهدت انتصار الإنسان العربي في الجزائر على قوة أشد منه بطشا ، وأعتى منه في قواها العلمية والتكنولوجية».[3]

روح القومية العربية لدى الناقدة العراقية" الجيوسي" تنبع من أعماق وجدانها، هاهي تفتخر بانتصار الثورة الجزائرية بقيادة شعب أعزل آمن بقضيته العادلة، على الاستعمارالفرنسي المستبد المدجج بالعدة والعتاد، هذا الانتصار كان حدثا عظيما ليس لدى الجزائريين فحسب بل هو انتصار كل العرب والأفارقة، من خلاله عادت البسمة والأفراح للشعوب المقهورة التي غابت عنها لوقت طويل، يُعد هذا التصريح اعترافاً منها كناقدة على عظمة ثورة التحرير الجزائرية.

« إن من الناس من يعتقد اليوم في الجزائر أن ثورة فاتح نوفمبر 1954 لم يكن وراءها مفكرون، ولنكرر ذلك، فهي ثورة شعبية وكفى ونحن لم نرى أخطل من هذا الرأي الذي قيلا ذلك بأن هذه الفكرة تحمل مغالطة تاريخية وفكرية لا تقبل، نعلم أن الفكر مصدره الدماغ، وأن الدماغ، من الوجهة العلمية، هو المتحكم في كل حركة من حركات الجسم، فالجسم يتلقى الأوامر أبدا من هذا الجهاز العجيب، وإذا تعطل الدماغ تعطلت الأوامر المصدرة إلى الجسم في توقف عن الحركة، ويعجز عن النهوض بأي وظيفة مادية، ولا يعقل أن تكون حركة ثورية عظيمة، كثورة التحرير العارمة، ولا يكون وراءها عقول مفكرة، وأدمغة مدبرة قبلها وأثناءها».[4]

لكل ثورة رجال وقادة يخططون وينفذون ويوجهونها وجهة سليمة، ولكل ثورة شعراؤها وأدباؤها وفنانوها الذين يخلدون مآثرها تحفظ بالذاكرة وتتناقلها الأجيال.

رابعاً/ ملامح الثـــورة في الشـعر العربـي الحديـث:

الفنون الأدبية بأنواعها المختلفة لها إسهاماتها الفاعلة في خدمة الثورة، والتحريض عليها ونشرها، وتحقيق أهدافها، وهو التغيير الجدري الشامل للوضع القائم، وهكذا يتبين لنا مِمَا سبق أن الثورة الجزائرية

---

[2] . يحي الشيخ صالح ، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر 1987، ص 55- 56 .

[3] ـ سلمى خضراء الجيوسي، مجلة عالم الفكر، م4، ع2، سبتمبر، الكويت، 1973 ، ص13.

[4] ـ مرتاض عبد الملك، أدب المقاومة في الجزائر (1830-1962)، مرجع سابق، ص 369.

ألقت بظلالها وآثارها على الإبداعات الفنية العربية، فعلى مستوى فن الشعر راحت هذه الثورة تمده بمواد المقاومة وقوة الخطاب الثوري، فظهرت العديد من النصوص الشعرية الجزائرية والعربية وحتى العالمية التي سعت إلى تصوير الثورة الجزائرية والتعبير عن حوادثها وقيمها، وبالتالي تمجيدها وتخليدها في أعمال شعرية حاولت توقيع حضور الثورة الجزائرية في الخطاب الشعري، لاغرو أن الثورة التحريرية الجزائرية الخالدة واكبت مجموعة من الشعراء العرب الذين وقفوا إلى جانب الثورة الجزائرية قلباً وقالباً، وبذلك كانوا صوتا قويا ومؤازرا لنصرة القضية الجزائرية في المشرق العربي وفي المحافل الدولية ونذكر على سبيل المثال فقط سليمان العِيسى الذي لقب بشاعر الثورة بالخارج، ونزار قباني من سوريا، وبدر شاكر السياب ونازك الملائكة من العراق، ومحمود درويش من فلسطين.. وغيرهم من الأدباء.

خامساً/ مفهوم الشعر الحديث:

ظهرت منتصف القرن التاسع عشر(9) مذاهب أدبية وتيارات فكرية تعددت مشاربها وتنوعت منطلقاتها الفكرية والثقافية، ممأأدى ببعض الشعراء إلى ا ستحداث أشكال تعبيرية جديدة تتماشى مع مستجدات العصر.

من هذا المنطلق يقول "صلاح عبد الصبور" لقد تغير العالم منذ عصر النهضة، فتميز الشعر عن النثر ووجد نقاد جدد ووجدت فنون مُحدثة كالقصة والقصيرة والرواية، وطُلِبَ من الشاعر أن يكون كل ما يقوله شعرا، وتغيرت صورة الأدب تغيرا جذريا، وأعيد النظر في الترات العربي كله واتسعت أبعاد التجربة الإنسانية واكتشف الإنسان اكتشافا جديداً ».[5]

التغيير والتجديد أصبح مطلبا أكثر من ضروري كرد فعل على الأشكال التقليدية والقوالب الجاهزة التي أصبحت لا تقوى على حمل مستجدات العصر ولا تتماشى مع متطلبات الوقت الراهن.

تعريف الشعر الحر (شعر التفعيلة):

تعرفه الناقدة"نازك الملائكة" وهي أحد رواد الشعر الحر في كتابها " قضايا الشعر المعاصر"الذي يُعد من أشهر أعمالها بقولها: « هو شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت وإنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى آخر ويكون هذا التغيير وفق قانون عروضي يتحكم فيه».[6]

[5] . صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، دار العودة، بيروت، لبنان، ط2، 1977، ص 107 . 109.

[6] . نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1977، ص 69.

هذه الأسس والضوابط التي وضعتها" نازك الملائكة" تجسد بحق مظاهر التجديد في القصيدة العربية التي نادت بها مدرسة الشعر الحر ومن بين هذه المظاهر تحولات اللغة الشعرية وتوظيف والرمز والأسطورة والتجديد على مستوى الصورة الشعرية والتشّكيل الموسيقي.

في هذا الصدد يقول:" رجاء النقاش" عن" نازك الملائكة":« ... شاعرة تفكر بعقلها كثيرا فهي تختار فكرة قصيدة وتحللها وتضيف إليها من ثقافتها الواسعة وتحرص كل الحرص على بناء قصيدتها بناءً فنيا مدروسا ، وهذا لون من الشعر تعلو فيه قيمة الفكر والعقل على الوجدان والعاطفة».[7]

للإشارة فإن"لنازك الملائكة" قصيدة رائعة من وحي الانتماء إلى الحس العربي تناصر فيها الثورة التحريرية بصفة عامة والبطلة " جميلة بوحيرد" بصفة خاصة بعنوان"نحن جميلة" مطلعها:

جميلة ! تبكين خلف المسافات ، خلف البلاد

وترخين شعرك كفّك دمعك فوق الوساد

أتبكين أنت ؟ أتبكي جميلة ؟

فلا يمكن تصور وجود شعر بدون لغة، واللغة هي أداة الشاعر تؤدي المعنى، وهي وسيلته في التعبير عن تجاربه اليومية وانفعلاته ومشاعره اتجاة قضياه وقضايا مجتمعه في هذا الصدد يقول:"علي قاسم الزبيدي"« تمثلت استعانة الإنسان الأول باللغة في إطار الشعر بصفته صومعة الاعتراف الذاتي الشفاف على خوالج النفس، فإن أول وسيلة يفلسف بها الإنسان ذاته كانت هي الشعر».[8]

بمعنى أن اللغة استراتجية هامة يقوم عليها الشعر تغري القارئ لمحاورة النص بكل جوارحه ووجدانه، وبالتالي تقديم بنية تأويلية جديدة فيكون للنص الواحد أكثر من معنى بحسب كل قارئ ومن جهة أخرى اللغة عبارة هي أداة تواصل إنساني يبرز من خلالها قدراته الفنية وعلاقاته الفكرية، فاللغة وبناء النص يلزمان القارئ بقدر من الوفاء لمقاصد الكاتب وطبيعة العصر الذي أُلِفَ فيه النص.

« الاسمُ جميلةُ بوحَيْرَدْ

رَقْمُ الزَنْزَانَةِ تِسْعُونا

في السجن الحربيَّ بِوَهْرانْ

---

[7] ـ رجاء النقاش، صفحات مجهولة في الأدب العربي المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1976، ص214.

[8] ـ علي قاسم الزبيدي، درامية النص الشعري الحديث، دراسة في شعر صلاح عبد الصبور وعبد العزيز المقالح، دار الزمان، ط1، 2009، ص 27.

والعمرُ اثنانِ وعِشْرُونا

عينانِ كقنديليْ معبَدْ

والشَعْرُ العربيُّ الأسوَدْ

كالصيفِ ...

كشلاَّلِ الأحزانْ ».[9]

في مستهل الحديث عن الثورة التحريرية وصداها الذي بلغ اصقاع المعمورة، مِمَا لا شك فيه أن الشاعر أحياناً لا يكتفي بوصف المشاهد بكلمات أوعبارات معينة، ولكنه كثيراً ما يلجأ إلى إدراج أصوات معينة تنقل الواقع وتصوره وسط أجواء مؤلمة تعكس الإحساس بالصدمة، من هذه المشاهد، ثم ينقل صداها للقارئ، ومن خلال الأبيات السابقة حاول الشاعر التعريف بالبطلة"جميلة" وظروف حياتها داخل زنزانة منفردة ومعاناتها التي لاتنتهي هي تحت شتى أنواع التعذيب بالسجن العسكري بوهران غرب العاصمة الجزائر من أجل استنطاقها، كل هذه المشاهد البشعة التي ارتكبها جلادوها في حقها لم تثني من عزيمة المجاهدة جميلة في الصبر والتحدي لتكون مفخرة للثورة التحريرية ومثال يحتذى به كل حرغيور على وطنه ويتفاعل معها الشعر العربي الحديث ويرصدها المتلقي في مخيلته، ثم يعرفنا الشاعر برقم زنزانة البطلة وعمرها الذي لايتعدى اثنان وعشرون عام، ثم يقدم لنا وصفاً دقيقاً للجسد للبطلة المتعب والمنهك من آثار التعذيب، فوصف ملامح عينيها التي تتأجج غضباً وشعرها الأسود.

ومن زاوية أخرى تكرار الشاعر للقافية في السطرين الشعريين أوأكثر يحمل أبعاد نفسية ودلالة فنية، وهي من مميزات الشعر الحر تؤدي دورا جماليا وذوقيا يجذب القارئ

«إبريقُ للماءِ وسَجّانْ

ويدُ تنضمُّ على القُرْآنْ

وامرأةُ في ضوء الصُبْحِ

تَسْتَرْجع في مثل البَوْحِ

آياتٍ مُحزِنَةَ الإرنانْ

من سُورةِ (مَرْيَمَ) (والفَتْحِ)

« الاسمُ جميلةُ بوحَيْرَدْ

[9] - نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، منشورات نزار قباني، ط1، بيروت، 1980، ص 449.

اسمُ مكتوبُ باللَهَبِ

مغموسُ في جُرْح السُحُبِ

في أَدَب بلادي في أَدَبِي

العُمْرُ اثنانِ وعِشْرُونا

في الصدر استوطن زوجُ حَمَامْ

والثغرُ الراقدُ غصنُ سَلاَمْ

إمرأة من قُسْطنْطينَة

لم تعرف شفتاهاَ الزينَة

لم تدخُل حجرتَها الأحلامْ

لم تلعبْ أبداً كالأطفالْ».[10]

« لم تُغْرَمْ في عقد أوشالْ

لم تعرفْ كنساءِ فَرَنْسَا

أقبيةَ اللذَّةِ (بيغالْ)

إن قراءة النصوص الشعرية تمر بمراحل عدة، فالنص لايبوح بكل أسراره بل إلابالقليل منها،وعليه فالقارئ ملزم بفك أقفال النص والولوج إلى أعماقه الخفية والعميقة، مستحضرا تجاربه السابقة وخلفياته الفكرية والثقافية، لكي يكون التعامل مع النص جماليا وليس وثائقيا.

إيمان البطلة "جميلة" بالله عزوجل وكتابه الكريم زادها ثباتا في وجه الطغيان وجبروت السجان، فتبددت مخاوفها داخل السجن كان أملها في الله كبيرمستئنسةً بكتابه الكريم، فسورة "مريم" توحي بالفرج القريب وانتصار الحق وانهزام الظلم والطغاة، في حين سورة" الفتح" توحي بأن الحق سوف ينتصرعلى الباطل مهما طال انتظاره وأن الأمل والحياة هما من ينتصران في الأخير.

هاهو الشاعر يعود ويذكرنا مرة أخرى بعمر البطلة (اثنان وعشرونا) يشكل التكرار إحدى بنى النص الأساسية له أبعاد دلالية وجمالية ويحقق بلاغة التعبير، وهو الحاح الشاعر على مغزى ما يقصده، ثم يستعرض أدق تفاصيل حياتها ينقل لنا صورة عن طفولتها البائسة وسط أجواء واقع مؤلم شأنها شأن بقية الأطفال الجزائريين المحرومين الذين سُرقت منهم البراءة فغابت عنهم البسمة بسبب صعوبة العيش

[10] . نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، مرجع سابق، ص 450.

وقساوة الحياة في ظل الاستعمار الغاشم، ثم ينتقل بنا الشاعر إلى صورة أخرى قاتمة تنعدم فيها مبادئ الإنسانية التى طالما تغنت بها الدول الاستعمارية تحت غطاء منظمات دولية تدعي حقوق الإنسان والحرية والمساواة، تجسد فضاعة الاستعمار الفرنسي في كيفية التعامل بين كل ماهو جزائري وماهو فرنسي، تمثلت هذه الصورة في المقارنة بين حياة الفتاة الجزائرية التي تقبع خلف جدران السجن التي سُلِبَتْ منها حريتها في عز شبابها وتحلم بحياة كريمة مثل قريناتها من الفتيات الفرنسيات اللواتي يَعِشْنَ في تَرْف وبَذَخْ هَمُهُنَ الوحيد حياة مليئة باللهو والمتعة فقط.

« الاسمُ جميلةُ بوحَيْرَدْ

أجملُ أُغنِية في المَغْرِبْ

أطولُ نَخْلَة

لَمَحتْها واحات المغربْ

أجمل طفلة

أتْعَبَتِ الشمسَ ولم تتعبْ

يا ربّي هل تَحتَ الكوكَبْ

يوجدُ إنسانْ

يرضى أن يأكَلَ.. أنْ يَشرَبْ

من لحم مجاهدة تصلبْ..

يذكرالشاعر فيما بعد "سجن الباستيل" أحد أضخم السجون الفرنسية الذي يُعد مفخرة فرنسا تحطمت أسسه ومعالمه على يد نساء فرنسا الثائرات سنة 1789، والذي كان يقبع بداخله أنصار الثورة الفرنسية والمساندين لها، هذة الأصوات تمردت على الكنيسة والرافضة للملكية والاقتطاع والداعية إلى الحرية والأخوة والمساواة وتجسيد قيم الإنسانية كما يعرج الشاعر المجرم"لاكوست" أحد أبزر السفاحين الفرنسيين الذي عامل الثوارالجزائريين بقسوة ووحشية لاتوصف بالغ هو وزبانيته في تعذيب المعتقلين الجزئريين وإرهابهم من أجل افتكاك اعترافات ولكن هيهات

« أضواءُ (الباستيل) ضئيلَة

وسُعَالُ امرأةٍ مُسْلُولَةَ

أكلتْ من نهديْها الأغلالْ

« أكَلَ الأنذالْ

(لاكوست) وآلافُ الأنذالْ

من جيش فرنسا المغلوبَة

إنتصروا الآن على أُنْثَى

أُنْثَى.. كالشمعة مصلوبَة

القيد يعضُ على القَدَميْنْ

وسجائرُ تطْفَأ في النهديْنْ

ودمُ في الأنف.. وفي الشفتيْنْ

وجراحُ جميلةُ بوحَيْرَدْ

هيَ والتحريرُ على موعِدْ

ومِقْصَلَةُ تُنْصَبُ.. والأشرارْ

يلهونَ بأنثى دون إزارْ

وجميلة بين بنادقِهِمْ

عصفورُ وَسَطِ الأمطارْ

"الجَسَدُ الخمريُ الأسمَرْ

تنفضُهُ لَمَساتُ التيَّار».[11]

« وحروق في الثدي الأيسَرْ

في الحَلْمةِ

في.. في.. ياللعارُ

يصف هنا الشاعر الممارسات الدنيئة للسجان الفرنسي في حق البطلة " جميلة" من تعذيب وتنكيل ففرنسا وهمجيتها لاتحترم حرمة المرأة كإنسانة أولا وكأنثى ثانيا لكي تتحمل كل هذه المتاعب والقسوة التي لا يطيقها ربما حتى الرجال، هذه الحالته النفسية الحزينة والمزرية التي وصلت إليها هذة المرأة الضعيفة في بنيتها الجسدية أمام أنظار العالم، إن آثار التعذيب التي خلفها السجان على جسد المرأة، خادشة للحياء تتنافى مع الشرع من جهة والعُرف العربي المحافظ من جهة أخرى، وأن هذه المعاناة النفسية

[11] .. نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، مرجع سابق،452 .

والآثار البدنية التي سببها لها الجلاد دون رحمة ولاشفقة لم تُثْنِ المرأة عن التراجع على مواقفها البطولية الثابتة التي تشحذ الهمم وتؤمن به،ا ومن المستحيل أن تتخلى عنها، وفي الأخير ستنتصر الضحية على الجلاد، والحياة على الموت والبطولة على غطرسة العدو. إن هذه المواقف البطولية العظيمة هي أكبر من"جان دارك" الفرنسية البطلة القومية التي حققت انتصارات باهرة في حرب فرنسا والإنجليز، والتي تسكن في وجدان الفرنسيين وتتناقلها أخبارها الذاكرة الفرنسية جيلا بعد جيل.

«الاسمُجميلةُ بُوحَيْرَدْ
تاريخُ .. ترويه بلادي
يحفظُهُ بعدي أولادي
تاريخُ امرأةٍ من وَطَني
جَلَدَتْ مقصلَةَ الجلَّادِ..
امرأةٌ دوّختِ الشمسَا
جرحَتْ أبعادَ الأبعادِ
ثائرةٌ من جَبَل الأطلَسْ
يذكرُها اللَيْلَكُ والنرجِسْ
يذكرُها.. زَهَرْ الكبَّاد
ما أصغَرَ (جانْ داركَ) فَرَنْسا
في جانب (جانْ داركَ بلادي .. ».[12]

تناول الشعراء العرب قصة "جميلة بوحيرد" من باب الدعم الروحي للقضية الجزائرية، حيث يعرب "قباني" عن اعجابه الشديد بصمود البطلة "جميلة" التي اثبتت شجاعة باسلة في وجه غطرسة الجلاد الفرنسي في انتظار تنفيذ حكم الإعدام، وفي المقابل يتضمر من المعاملة اللاإنسانية واللاأخلاقية التي تمارس في حقها كإمرأة داخل السجن، هذا هو الوجه الحقيقي لفرنسا فهي الدولة الاستعمارية الوحيدة في العالم التي تجاهر بجرائمها في مستعماراتها بكل فخر، هنا سقطت منظومة القيم الإنسانية ومقولات الحرية والمساواة التي كانت تتغنى بها القوى الاستعمارية، فهي مجرد شعارات وادعاءات وحبر على ورق، وهاهو تاريخ فرنساالأسود الموثق يثبت ذلك، إن ثنائية الجسد والثورة في شعر "نزار قباني" ينطلقان من رؤية فنية

[12] . نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، مرجع سابق، ص453.

أبداعية للشاعر جمعت بين الأنوثة والمقاومة شكّلت كثافة شعرية في القصيدة، وذلك حتى يؤثر في المتلقي العربي، كما استحضر بعض الشواهد التي تُشَكِلْ في مضمونها مجد فرنسا التاريخي المزعوم كصورة البطلة القومية "جان دارك ومن معالم الثورة الفرنسية "سجن الباستيل" الذي يُعَدْ مفخرة فرنسا فقد انتصرت الثورة الفرنسية بسقوطه، وذكر لنا الشاعر أوكار الفسق والدعارة المنتشرة بقوة في المجتمع الفرنسي والتي أشار إليها الشاعر في السطر التالي" أقبية بيغال" حيث تُمارس الرذيلة من قِبَلْ بائعات اللذة والهوى، ويذكر لنا الشاعر المجرم السفاح"لاكوست" أحد رموز القمع وما أحدثه من قتل وتنكيل واضطهاد في حق المناضلين الجزائريين دون تمييز بين رجل وامرأة أوكبير وصغير، كما وظف الشاعر ألفاظ مستوحاة من داخل السجن ومحيطه من عنف وإرهاب ضد السجناء، منها: الزنزانة، السجان لاكوست، جيش فرنسا هذا تشكيل يمنبثق عن رؤية فنية ابداعية واعية تهدف إلى إعطاء الصورة الحقيقية لفضاعة الاستعمار وممارساته ضد الدول المستعمرة.

خاتمة:

مِمَا سبق نستنتج أن كل من الثورة والشعر يلتقيان في الهدف المنشود وهوتغير الوضع القائم، ولكنهما يختلفان من حيث الأداة والوسيلة، إذ أن أداة الشعر هي الكلمة في حين أن وسيلة الثورة هي الرصاصة ، في الأخير نستخلص أبرز النتائج المتوصل إليها.

1/ تعد الثورة الجزائرية واحدة من بين أكبر أربع ثورات في العالم الحديث.

2/ التفاف الشعب الجزائري بالثورة بمختلف طبقاته وجهاته من الشمال إلى الجنوب ون الشرق إلى الغرب.

3/ بلغ صدى ثورة الفاتح نوفمبر أركان الوطن العربي في مشارقه ومغاربه.

4/ الثورة التحريرية صارت مادة إبداعية دسمة تفنن الأدباء والشعراء العرب في تشكيلها من المحيط إلى الخليج.

5/ تفاعل عربي كبير مع الثورة التحريرية المباركة حيث تجاوز عدد القصائد العربية مئة واثنان وثلاثين قصيدة عربية.

6/ التحاق الشباب الجزائري بالثورة أفرادا وجماعات لمواجهة آلة القمع الفرنسي.

7/ مشاركة المرأة الجزائرية بقوة في الثورة ووقوفها إلى جانب الرجل في التصدي للمحتل الغاشم.

8/ تضحيات جسام قدمتها الجزائر في سبيل تحرير الوطن (قوافل من الشهداء مليون ونصف مليون شهيد).

9 انتصار شعب أعزل آمن بقضيته العادلة.

الهوامش الاحالات:

1ـ مرتاض عبد الملك، أدب المقاومة في الجزائر (1830–1962)،ج1، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة دار هومة، الجزائر، ص 369.

2 . يحي الشيخ صالح ، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر 1987، ص 55– 56.

3 . سلمى خضراء الجيوسي، مجلة عالم الفكر، م4، ع2، سبتمبر، الكويت، 1973 ، ص13.

4 . عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة في الجزائر (1830–1962)، مرجع سابق، ص 369.

5 . صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، دار العودة، بيروت، لبنان، ط2، 1977، 107 . 109.

6 . نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1977، ص 69.

7 . رجاء النقاش، صفحات مجهولة في الأدب العربي المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1976، ص214.

8 . علي قاسم الزبيدي، درامية النص الشعري الحديث، دراسة في شعر صلاح عبد الصبور وعبد العزيز المقالح، دار الزمان، ط1، 2009، ص 27.

9 . نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، منشورات نزار قباني، ط1، بيروت، 1980، ص 449.

10 . نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 450.

11 . نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 452

12ـ نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ص453.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً المصادر:

1 / نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، منشورات نزار قباني، ط1، بيروت،1980.

ثانياً المراجع:

1ـ مرتاض عبد الملك، أدب المقاومة في الجزائر (1830–1962)،ج1، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة دار هومة، الجزائر.

2 . يحيى الشيخ صالح ، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1987.

3 . سلمى خضراء الجيوسي، مجلة عالم الفكر، م4، ع2، سبتمبر، الكويت، 1973.

4 . صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، دار العودة، بيروت، لبنان، ط2، 1977.

5 . نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1977.

6 . رجاء النقاش، صفحات مجهولة في الأدب العربي المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1976.

7 . علي قاسم الزبيدي، درامية النص الشعري الحديث، دراسة في شعر صلاح عبد الصبور وعبد العزيز المقالح، دار الزمان، ط1، 2009.